

الأقسام في القرآن

(55) وللمسألة، وإنَّ إيمانه هل كان إيماناً نابعاً من صميم ذاته، أو نفاقاً لاَّجل حطام الدنيا، فهذا النوع من الاعمال لا يمكن الشهادة عليها حتى بنفس الحضور عند المشهود عليه؟ وهذا يدفعنا إلى القول بأنَّ لشهداء الاعمال عامة والنبي الخاتم خاصة قدرة غيبية خارقة يطَّلع من خلالها على أعمال العباد ظاهرها وباطنها وذلك بقدرته من اللّٰه سبحانه، وعلى ذلك فهذه الشهادة عبارة عن الاطلاع على أعمال الناس في الدنيا من سعادة أو شقاء، وانقياد وتمرّد، وإيمان وكفر، وأداء ذلك في الآخرة يوم يستشهد اللّٰه من كلّ شيء حتى من أعضاء الانسان، وعند ذلك يقوم النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" ويقول: (يا ربِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا) . فإذا كانت الشهادة بهذا المعنى فلا ينالها إلاَّ الامثل فالامثل من الامة، لا الامة بأسرها، وعلى ضوء ذلك فيكون المراد من قوله سبحانه: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَى كُمْ شَهِيدًا) (1) هم الكاملين من الامة لا المتوسطين وما دونهم. وأمّا نسبة الشهادة إلى قاطبة أمة النبي، في قوله تعالى: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا) فليس بشيء بديع، إذ ربّما يكون الوصف لبعض الامة وينسب الحكم إلى جميعهم، كما في قوله سبحانه في حقّ بني إسرائيل: (وَجَعَلْنَاكُمْ مِثْلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ مُّذْكَرًا) على الرغم من أنَّ الملوك فيهم لم يكن يتجاوز عددهم عدد الاصابع. وثمة حديث منقول عن الامام الصادق (عليه السلام) في تفسير قوله تعالى: (لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَى كُمْ شَهِيدًا) (يُؤَيِّدُ هذا _____ 1 - البقرة: 143).